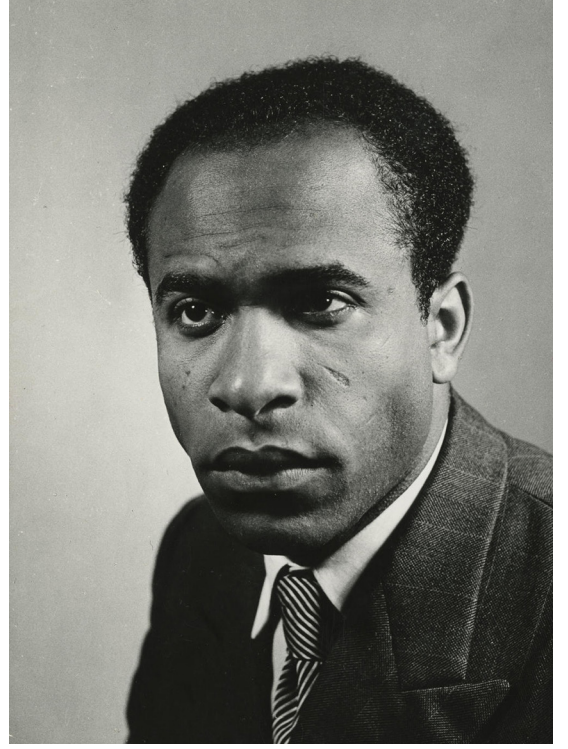


## فرانز فانون ودراسات ما بعد الكولونالية

طبيب نفساني من جزيرة المارتينيك الفرنسية في منطقة الكاريبي. ولد في العشرين من يوليو 1925. تدرج في مستويات التعليم الفرنسي. وفي العام 1942 التحق بصفوف المتطوعين للدفاع عن فرنسا في مواجهة ألمانيا النازية، عابرا الشمال الإفريقي من الدار البيضاء إلى بجاية ثم إلى فرنسا. عاد إلى جزيرة المارتينيك حيث حصل على شهادة البكالوريا سنة 1945، ثم التحق بجامعة ليون سنة 1946 لدراسة الطب النفسي، وتخرج منها سنة 1951. التحق سنة 1953 بمستشفى البلدية بالجزائر حيث رأس قسم الطب النفسي، وفي العام 1954 انضم إلى صفوف جبهة التحرير الوطني الجزائرية إلى أن طردته السلطات الفرنسية من التراب الجزائري سنة 1957، ليستقر في تونس حيث عمل طبيبا في مستشفى منوبة، ونشط في العمل الصحفي والتثقيفي لأطر جبهة التحرير، كما درّس الطب النفسي والعلاج النفسي لطلبة علم الاجتماع بكلية الآداب والعلوم الإنسانية في تونس العاصمة، وتولى مهام دبلوماسية مع حركات التحرر الإفريقية. توفي فانون عن عمر ناهز السادسة والثلاثين عاما بعد معاناة مع مرض عضال في السادس من ديسمبر 1961.



فرانز فانون

(20 يوليو 1925-6 ديسمبر 1961)

كان فانون مثقفا نموذجيا على نمط التكوين الفرنسي، وأتاح له الدرس الجامعي في جامعة ليون مناخا حافزا لتعميق اطلاعه على الفلسفة المعاصرة وخاصة الفينومينولوجيا والوجودية، فكانت قراءاته الأدبية والفلسفية واسعة جدا مثلما أظهرت مجلدات مكتبته المليئة بالتعليقات (روبرت يونغ)، وذلك بالتوازي مع تخصصه الجامعي في الطب النفسي، دون إغفال حوار النقدي مع الإرث الفكري لأستاذه المارتينيكي إيمي سيزار (1913-2008) الكاتب والشاعر والمثقف الملهم لروح الكبرياء الزنجية (ديفيد كوت). كانت الظاهرة الاستعمارية بتناقضاتها ومآزقها التي عاينها فانون في الفضاء الاستعماري الفرنسي الواسع هي الإطار الحاضن لتشكّل وعيه النقدي بدور المثقف المستعمر في تمكّن الثقافة الأوروبية في بعدها النقدي، وهو ما أتاح له تحويل «الظاهرة الاستعمارية» إلى موضوع مركزي في كتاباته مفككا الآثار النفسية والثقافية للاستعمار على المستعمر. لقد حول فانون تجربته المركبة إلى موضوع للتأمل النظري بجرأة ووعي نادرين.

ألهمت كتابات فانون مثقفي وحركات التحرر الوطني ومناهضة التمييز العنصري في أماكن مختلفة من العالم. وتم اعتبار صدور الترجمة العربية لكتاب «معذبو الأرض» عام 1961 علامة من علامات «انفتاح الثقافة العربية على مرجعيات كونية لتجديد الفكر والإبداع» (محمد برادة)، ورغم أن الكتابات العربية آنذاك لم تلتقط أهمية التحليلات النفسانية التي أنجزها فانون والربط الوثيق بينها وبين الخطاب السياسي والممارسة الاجتماعية، فإن الفصول التي كتبها عن الثقافة الوطنية قد شغلت المثقفين العرب (محمد برادة)، وقد ظهرت أصداء فانون في كتابات المغاربة منذ بداية الستينات (محمد برادة، محمد زنيير، مجلة أنفاس...)، وفي كتابات المثقفين الإيرانيين قبل الثورة (خاصة علي شريعتي). كما أن أطروحات فانون عن جدليات الثقافة والعنف والاستعمار والعنصرية جعلته رائدا من رواد النقد الثقافي ودراسات ما بعد الكولونالية.